مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فالخطابة فن أدبي عرف في الجاهلية، واستمر قوياً حتى عصرنا الحاضر. وهي تعد من النثر الفني؛ لأنها جمعت بين الجمال الفني وسمو المضمون.

وقد عرَّفها بعض دارسي الأدب بأنها [1]: ((فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته)).

والتعريف الذي أرتضيه لها بصفتها فناً أدبياً هو: الكلام الفني الذي يلقيه الخطيب على جمهورٍ من الناس، ويضمنه الحث على فعل شيءٍ أو تركه، معتمداً في ذلك على التأثير و الإقناع.

وقد تأثرت الخطابة بالإسلام تأثراً قوياً؛ فتميزت بذلك عن الخطابة في عصر الجاهلية، وبخاصة الخطابة الدينية التي ظهرت بظهور الإسلام، واستمرت تستمد في شكلها ومضمونها من القرآن الكريم، والسنة النبوية، حتى عصرنا الحاضر.

وعصر بني أمية من عصور الإسلام التي ازدهرت فيها الخطابة، وتأثرت بالإسلام تأثراً قوياً، وهو يعد العصر الذهبي للخطابة العربية؛ لما تميزت به من جمال في الأسلوب، وإحكام في الصنعة، وسمو في المضمون، وتنوع في الموضوعات والاتجاهات.

وقد ظهر في ذلك العصر كثير من الخطباء البلغاء، من بينهم الخليفة

---

(1) فن الخطابة (الحوفي): 5.

الأموي عمر بن عبد العزيز – رحمه الله تعالى –، الذي ترك عدداً من الخطب البليغة، من أشهرها خطبته بخناصرة [1]، وهي آخر خُطَبِهِ، كما تشير المصادر التي روتها.

وتلك الخطبة من الخطب الدينية، وهي خطبة بليغة، قالها عمر – رحمه الله تعالى – يعظ الناس، ويذكرهم بما خلقهم الله تعالى من أجله، ويحثهم على الاستعداد ليوم المعاد.

ولذلك بدت فيها آثار الإسلام جلية؛ لأن عمر – رحمه الله – من الخطباء الذين تمكن الإيمان في قلوبهم، وجمعوا بين الثقافة الدينية واللغوية؛ فبدت آثار ذلك واضحة في أقوالهم وأفعالهم.

وقد اخترت هذه الخطبة، واتجهت إلى بيان الآثار الإسلامية مفصلة فيها للمسوغات الآتية:

تميزها بالبلاغة، وسمو المعاني، وصدق المشاعر؛ فهي تمثل قمة النضج الخطابي لعمر بن عبد العزيز؛ لأنها آخر ما قاله من الخطب.

أنها تعد موعظة بليغة مؤثرة، جمعت بين خيري الدنيا والآخرة، وبيان أثر الإسلام فيها يعمق معنى العظة الاعتبار في النفس.

أن في هذه الدراسة خدمة للدين والأدب؛ لأنها تتناول بالتحليل نصاً أدبياً، يعد من نصوص الوعظ الديني؛ فتكشف عن الخيوط الدقيقة لتأثره بالإسلام في شكله ومضمونه، وتبين مصادر ذلك التأثير؛ فتؤكد ما فيه من قيم دينية في النفوس، وتقدم لها قدوة متميزة في الأدب البليغ، والتأثر المحمود بالإسلام.

---

(1) خنا صرة: بلدة بالشام من أعمال حلب. (انظر: معجم البلدان: 390/2، والروض المعطار في خبر الأقطار: 222).

أن هذه الخطبة من نصوص الأدب، وبيان أثر الإسلام فيها يوضح مدى تأثير الإسلام في الأدب في العصر الأموي خاصة، والأدب العربي عامة.

أن هذه الدراسة تكشف عن الصلة الوثيقة بين الأدب الملتزم والدين في الغايات والسمات؛ فالأدب الملتزم يشترك مع الإسلام في الدعوة إلى الخير، ويتأثر به في الشكل والمضمون.

والله أسأل أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة، وقدمت للقاري الكريم عملاً مفيداً، تزداد به معرفته، ويثاب على قراءته.



نص الخطبة[1]

((خَطَبَ عُمَرُ بن عَبد العَزِيزِ بخُنَاصِرَةَ خُطْبَةً لَمْ يَخْطُبْ بَعْدَهَا غَيرَهَا حَتَّى مَاتَ – رَحِمَهُ الله –، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَى عَلَى نَبِيِّهِ، ثُمَّ قَالَ:

أَيَّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَمْ تَخْلَقُوا عَبَثاً، وَلَمْ تُتْرَكُوا سُدَى [2]، وَإِنَّ لَكُمْ مَعَاداً يَحْكُمُ اللهُ بَيْنَكُمْ فِيهِ. فَخَابَ وَخَسِرَ مَنْ خَرَجَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ، وَحُرِمَ الجَنَّةَ الَّتِي عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ. وَاعْلَمُوا أَنَّ الأَمَانَ غَداً لِمَنْ خَافَ اللهَ اليَومَ، وَبَاعَ قَلِيلاً بِكَثِيرٍ، وَفَائِتاً بِبَاقٍ .

أَلاَ تَرَونَ أَنَّكُمْ فِي أَسْلاَبِ [3] الهَالِكِينَ، وَسَيَخَلِّفُهَا مِنْ بَعْدِكُمُ البَاقُونَ، كَذَلِكَ حَتَّى تُرَدُّوا إِلَى خَيْرِ الوَارِثِينَ.

(1) البيان والتبيين: 120/2، 121. وانظر الخطبة في المصادر الآتية:
سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه (ابن عبد الحكم): 37، 38، وعيون الأخبار: 246/2، وتاريخ الطبري: 570/6، 571، والعقد الفريد: 4/ 95، والأغاني: 9/ 305، 306، وأخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز وسيرته: 64، 65، وسيرة عمر بن عبد العزيز (ابن الجوزي): 190، 192، وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): 5/ 150، 151. مع اختلافٍ في الرواية.

(2) سدى: هملاً من غير تكليف. معجم مقاييس اللغة: 150/3. مادة: سدو. ولسان العرب: 1979. مادة: سدا.

(3) أسلاب الهالكين: الأسلاب: جمع سَلَب؛ وهو ما يُسْلَبُ؛ أي: ما يؤخذ من الأشياء بخفة واختطاف، وكل شيء على الإنسان من لباس فهو سلب، وسَلَبَ القتيل: أخذ ما معه من لباسٍ وسلاحٍ. معجم مقاييس اللغة: 3/ 92. مادة: سلب. ولسان العرب: 2057. مادة: سلب. والمصباح المنير: 148. مادة: سلب. والمقصود بالأسلاب هنا: هو كل ما تركه الموتى بعد رحيلهم؛ فكأن الموت قد سَلَبَ ذلك منهم.

ثُمَّ أَنْتُمْ فِي كُلِّ يوم تُشَيِّعُونَ [1] غَادِياً وَرَائِحاً إِلَى اللهِ، قَدْ قَضَى نَحْبَهُ [2]، وَبَلَغَ أَجَلَهَ، ثُمُّ تُغَيِّبُونَهُ [3] فِي صَدْعٍ [4] مِنَ الأَرْضِ، ثُمَّ تَدَعُونَهُ غَيْرَ مُوَسَّدٍ ولاَ مُمَهَّد[5]، قَدْ خَلَعَ الأَسْبَابَ، وَفَارَقَ الأَحْبَابَ، وَبَاشَرَ التُّرَابَ، وَوَاجَهَ الحِسَابَ، غَنِياًّ عَمَّا تَرَكَ، فَقِيراً إِلَى مَا قَدَّمَ.

وَأَيْمُ اللهِ[6] إِنَّيَ لأَقُولُ لَكُمْ هَذِهِ الْمَقَالَةَ، وَمَا أَعْلَمُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ الذُّنُوبَ أَكْثَرَ مِمَّا عِنْدِي، فَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ.

وَمَا تَبْلُغُنَا حَاجَةٌ يَتَّسِعُ لَهَا مَا عِنْدَنَا إِلاَّ سَدَدْنَاهَا.

وَمَا أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلاَّ وَدِدْتُ أَنْ يَدَهُ مَعَ يَدِي، وَلُحْمَتِي [7] الَّذِينَ يَلُونَنِي، حَتَّى يَسْتَوِيَ عَيْشُنَا وَعَيْشُكُمْ.

---

(1) تشيعون: من شَيَّعَ فُلاناً وشَايَعَهُ؛ إذا خرج معه ليودِّعَه ويُبَلِّغَه منزله. لسان العرب: 2377. مادة: شيع، والقاموس المحيط: 950. مادة: شاع. ويقال: شيع الجنازة؛ إذا خرج معها إلى المكان الذي سوف تدفن فيه. المعجم الوسيط: 503. مادة: شيع.

(2) قضى نحبه: أي مات؛ لأن النحب هو: الموت والأجل. أساس البلاغة: 622. مادة: نحب. ولسان العرب: 4362. مادة: نحب. والقاموس المحيط: 174. مادة: نحب.

(3) تغيبونه: أي تدفنونه في قبره؛ فيختفي عن الأنظار. يقال: غَيَّبَهُ غَيَابُهُ؛ أي: دفن في قبره. لسان العرب: 3322. مادة: غيب.

(4) الصدع: الشق في الشيء الصُلْبِ، وجمعه صدو ع، والمراد به هنا: الشق في الأرض؛ وهو القبر. لسان العرب: 2415. مادة: صدع. والقاموس المحيط: 951. مادة: صدع.

(5) ممهد: من المهاد؛ وهو الفراش المبسوط الموطأ. أي ليس له فراش في قبره. لسان العرب: 4286. مادة: مهد.

(1) أيم الله: أصلها أيمن الله، اسم وضع للقسم. لسان العرب: 4969، 4970. مادة: يمن، والقاموس المحيط: 1602. مادة: اليمن.

(2) لحمتي: قرابتي. لسان العرب: 4012. مادة: لحم. والقاموس المحيط: 1493. مادة: لحم.

وَأَيْمُ اللهِ إِنِّي لَو أَرَدْتُ غَيرَ هَذَا مِنْ عَيْشٍ أَوْ غَضَارَةٍ [1]، لَكَانَ اللِّسَانُ مِنِّي نَاطِقاً ذَلولاً، عَالِماً بِأَسْبَابِهِ. لَكِنَّهُ مَضَى مِنْ اللهِ كِتَابٌ نَاطِقٌ، وَسُنَّةٌ عَادِلَةٌ، دَلَّ فِيهَا عَلَى طَاعَتِهِ، وَنَهَى فِيهَا عَنْ مَعْصِيَتِهِ.

ثُمْ بَكَى رَحِمَهُ اللهُ فَتَلَقَّى دُمُوعَ عَيْنَيْهِ بِطَرَفِ رِدَائِهِ، ثُمَّ نَزَلَ، فَلَمْ يُرَ عَلَى تِلْكَ الأَعْوَادِ حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ إِلَى رَحْمَتِهِ)).



(3) غضارة: نعمة وخصب وسعة، وغضارة العيش: طيبه ونضرته. أساس البلاغة: 451. مادة: غضر. ولسان العرب: 3224. مادة: غضر.

التعريف بقائل الخطبة

اسمه ونسبه: قائل هذه الخطبة هو الخليفة الأموي، أمير المؤمنين، أبو حفص، عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم القرشي[1].

ولادته ونشأته: ولد عمر بن عبد العزيز – رحمه الله تعالى – في المدينة سنة 60 هـ، ونشأ بها محبا للعلم، ثم لحق بأبيه في مصر، فلم تطل مدة إقامته عنده؛ حيث بعثه أبوه إلي المدينة ليتأدب بها، فكان يختلف إلى العلماء ويجالسهم.

وقد حفظ عمر القرآن الكريم وهو صغير، وتفقه في الدين، وتعلم العربية والشعر؛ فكان عالماً غزير العلم[2].

صفاته: كان عمر بن عبد العزيز– رحمه الله تعالى– أبيض الوجه جميلاً، حسن اللحية، غائر العينين، نحيف الجسم. في جبهته أثر لحافر دابة[3].

وكان متصفا بالعلم، والصدق، والعدل، والكرم، والورع، والتواضع، والحلم، وفصاحة اللسان[4].

ولايته وخلافته: ولي عمر بن عبد العزيز المدينة سنة 85 هـ، وعهد إليه سليمان بن عبد الملك بالخلافة؛ فتولاها سنة 99هـ، واستمر خليفة للمسلمين

(1) انظر: سيرة عمر بن عبد العزيز (ابن الجوزي): 4، وفوات الوفيات: 133/3، والأعلام: 50/5.

(2) انظر: سيرة عمر بن عبد العزيز، (ابن عبد الحكم): 20، 21، وسيرة عمر بن عبد العزيز (ابن الجوزي): 7، 21، وفوات الوفيات: 133/3، والأعلام: 50/5.

(1) انظر: فوات الوفيات: 133/3.

(2) انظر: سيرة عمر بن عبد العزيز (ابن الجوزي): 2(1)23، 48، 50، 5(6) 65، 13(3)151.

سنتين وخمسة أشهر وأربعة عشر يوماً. نعموا فيها بالأمن والعدل، ورغد العيش[1].

وفاته: توفي عمر – رحمة الله تعالى – بدير سمعان [2] سنة 101هـ، ودفن بها[3].

مناسبة الخطبة: قيلت هذه الخطبة في بلدة خُنَاصِرَةَ، ولم يذكر لها مناسبة محددة، ولا قضية معينة. ولعلها كانت إحدى خطب الجمعة التي كان يتولى الخلفاء القيام بها.

ويبدو أن الأمر الذي دعا عمر بن عبد العزيز إلى قول هذه الخطبة؛ هو حرصه على وعظ الناس، وإرشادهم إلى طاعة الله عز وجل، ورغبته في تزوُّدِهم بالأعمال الصالحة لآخرتهم.

❁ ❁ ❁

(3) انظر: سيرة عمر بن عبد العزيز (ابن الجوزي): 25، 38، 247، وفوات الوفيات: 134/3.

(4) موضع بالشام بنواحي دمشق، كانت حوله قصور وبساتين لبني أمية. انظر: (معجم البلدان: 517/2، والروض المعطار في خبر الأقطار: 251).

(5) انظر: سيرة عمر بن عبد العزيز (ابن الجوزي): 246، 247، وفوات الوفيات: 134/3.

أثر الإسلام في الخطبة

يظهر في هذه الخطبة أثر الإسلام جلياً؛ وذلك في موضوعها، وشكلها ومضمونها؛ وسوف يتضح ذلك فيما يأتي:

أولاً– أثر الإسلام في الموضوع:

موضوع هذه الخطبة من الموضوعات الإسلامية، وهو الوعظ والإرشاد والتوجيه إلى الله عز وجل، وذلك بالتذكير بما خلق الله الناس من أجله، وباليوم الآخر، وبالمصير المحتوم، والحث على العمل الصالح، والتزود ليوم المعاد؛ لأن ذلك هو الذي يبقى للإنسان، حين يضعه أحبابه في قبره،

ويتركونه وحيداً، يطلب الله تعالى اللطف به، يقول التهامي مصوراً ذلك الموقف[1]:

وَحِيداً مُفْرَداً يَا رَبِّ فَاغْفِرْ   لِعَبْدِكَ حِينَ تَتْرُكُهُ وَحِيدَا

ثانيا– أثر الإسلام في الشكل:

تأثر جانب الشكل في خطبة عمر بن عبد العزيز – رحمه الله تعالى – بالإسلام تأثراً واضحاً، وذلك من حيث الألفاظ والتراكيب، والصور البيانية، وفيما يلي عرض لملامح هذا التأثير:

1– الألفاظ والتراكيب:

يظهر تأثر الألفاظ والتراكيب بالإسلام في ورود جملة من الألفاظ والتراكيب الإسلامية في الخطبة، فأما الألفاظ؛ فمثل: لفظ الجلالة (الله)، وقد تكرر في الخطبة ثمان مرات، (معاد)، (الجنة)، (الحساب)، (نحبه)،

---

(1) ديوان التهامي: 192.

(الذنوب)، (أستغفر)، (أجل) , (طاعته)، (معصيته).

وأما التراكيب؛ فمثل: (لم تتركوا سدى)، (لم تخلقوا عبثاً)، (خاف الله)، (خير الوارثين)، (وأيم الله)، وقد تكرر هذا التركيب في الخطبة مرتين، (قضى نحبه)، (أستغفر الله)، (يحكم الله بينكم)، (حرم الجنة التي عرضها السموات والأرض)، (رحمة الله التي وسعت كل شيء).

ومن الأساليب التي يظهر فيها تأثر الخطيب بالإسلام في هذه الخطبة ما يأتي:

النداء: وهو أحد الأساليب التي ضمتها الخطبة، وقد جعله الخطيب مفتتحاً لكلامه بعد الحمد والثناء، والصلاة والسلام على رسول الله ρ؛ ليلفت أنظار المخاطبين إليه، وإلى ما يحدثهم به؛ وذلك في قوله: ((أَيَّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَمْ تَخْلَقُوا عَبَثاً))؛ وهذا النداء من النداءات التي وردت كثيراً في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى[1]:

﴿ يَا أَيَّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ و الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.

وفي الحديث النبوي الشريف قول الرسول ρ[2]: ((أَيُّها النَّاسُ تَصَدَّ قُوا)).

السجع: وهو من الأساليب البلاغية التي كثر ورودها في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وهو أسلوب بلاغي له أثره القوي في تحسين المعنى، ومن ثم تمكينه في النفس.

وقد عني الخطيب بأسلوب السجع تأثراً بالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، كما في قوله: ((أَيَّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَمْ تَخْلَقُوا عَبَثاً، وَلَمْ تُتْرَكُوا سُدَى))،

(1) البقرة: 21.

(2) صحيح البخاري: 531. كتاب: الزكاة. باب: الزكاة على الأقارب.

وقوله: ((قَدْ خَلَعَ الأَسْبَابَ، وَفَارَقَ الأَحْبَابَ، وَبَاشَرَ التُّرَابَ، وَوَاجَهَ الحِسَابَ))، وكذلك قوله: ((دَلَّ فِيهَا عَلَى طَاعَتِهِ، وَنَهَى فِيهَا عَنْ مَعْصِيَتِهِ))؛ وذلك ليجعل لخطبته أثراً في النفوس تتمكن به المعاني فيها.

الطباق والمقابلة: الطباق والمقابلة مما أولاه الخطيب عناية واضحة في خطبته، وهما مما يزيد الكلام بلاغة؛ لأن كل ((منهما يضفي على القول رونقاً وبهجة، ويقوي الصلة بين الألفاظ والمعاني، ويجلو الأفكار ويوضحها شريطة أن تجري المطابقة أوالمقابلة مجرى الطبع. أما إذا تكلفها الشاعر أو الأديب فإنها تكون سبباً من أسباب اضطراب الأسلوب وتعقيده))[1].

ومن أسلوب الطباق والمقابلة في الخطبة قول الخطيب:

((وَاعْلَمُوا أَنَّ الأَمَانَ غَداً لِمَنْ خَافَ اللهَ اليَومَ، وَبَاعَ قَلِيلاً بِكَثِيرٍ، وَفَائِتاً بِبَاقٍ))، وقوله: ((غَنِياً عَمَّا تَرَكَ، فَقِيراً إِلَى مَا قَدَّمَ))، وكذلك قوله: ((دَلَّ فِيهَا عَلَى طَاعَتِهِ، وَنَهَى فِيهَا عَنْ مَعْصِيَتِهِ)).

حيث يظهر الطباق بين قليل وكثير، وفائت وباق، والمقابلة بين الأمان غداً وخاف الله اليوم، وبين غنياً عما ترك وفقيراً إلى ما قدم، وبين دل فيهما على طاعته ونهى فيهما عن معصيته.

القسم: وهو واحد من الأساليب الواردة في الخطبة، كما في قول الخطيب: ((وَأَيْمُ اللهِ إِنِّيَ لأَقُولُ لَكُمْ هَذِهِ الْمَقَالَةَ))، وقوله: ((وَأَيْمُ اللهِ إِنِّي لَو أَرَدْتُ غَيرَ هَذَا مِنْ عَيْشٍ أَوْ غَضَارَةٍ)).

والقسم من الأساليب التي يؤتى بها للتوكيد، وقد ورد كثير من صيغه المختلفة في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف.

---

(1) علم البديع (عتيق): 90.

وهذه الأساليب وإن كانت من الأساليب العربية المعروفة إلا أن عناية الخطيب بها تدل على تأثره بالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، ومتابعتهما، والنسج على منوالهما في أساليبهما؛ لأنهما قد عنيا بهذه الأساليب البلاغية؛ فورد فيهما كثير منها؛ لما لها من أثر في تقديم المعنى في صورة حسنة مؤثرة، تجعله يتمكن في نفس المتلقي.

وسهولة ألفاظ هذه الخطبة وألفتها، ووضوح تراكيبها، وبعدها عن الغرابة والتعقيد، يعد أثراً من آثار الإسلام. فقد لانت به الطباع، وأفاد المنشؤون من بلاغة القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف؛ فابتعدوا عن حوشي الكلام وغريبه، وعن التعقيد والالتواء في التراكيب، ومالوا إلى السهولة واليسر؛ حتى ظهر بسبب ذلك ما يسمَّى بالأسلوب السهل الممتنع، الذي تتسم به هذه الخطبة.

2- الصور البيانية:

وردت في الخطبة صورتان بيانيَّتان مستمدتان من الإسلام، استمدهما الخطيب من القرآن الكريم؛ الأولى نجدها في قوله: ((وحرم الجنة التي عرضها السموات والأرض)).

حيث شبه عرض الجنة بالسماوات والأرض. وهذا التشبيه مأخوذ من قول الله تبارك وتعالى[1]:

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِيْنَ﴾.

والثانية في قوله: ((ثم تغيبونه في صدع من الأرض))؛ حيث كنى بالصدع

(1) آل عمران: 133.

عن القبر، وهو في هذا متأثر بقوله عز وجل [1]: ﴿ وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾.

(2) الطارق: 12.

ثالثاً– أثر الإسلام في المضمون:

تأثر مضمون خطبة عمر بن عبد العزيز بالإسلام، وظهر ذلك جلياً في المعاني والأفكار، والعاطفة، وفيما يأتي توضيح لملا مح هذا التأثير:

1– أثر الإسلام في المعاني والأفكار:

تأثرت المعاني والأفكار في الحطبة بالإسلام تأثراً قوياً، وبيان ذلك كما يأتي:

أ – عرض المعاني والأفكار الإسلامية:

تضمنت الخطبة المعاني والأفكار الإسلامية الآتية:

حمد الله تبارك وتعالى، والثناء عليه بما هو أهله، والصلاة والسلام على رسوله ρ.

والحمد والثناء، والصلاة والسلام على رسول الله ρ، وإن لم ترد في نص الخطبة؛ فإنه قد نص في رواية الخطبة على أنه بدأها بها، وهي من الأمور المعهود الابتداء بها في الخطابة وفي غيرها.

أن الله عز وجل لم يخلق الناس لغير غاية، ولم يتركهم هملاً في الحياة الدنيا من غير تكليف.

أن للناس يوماً يحكم الله تبارك وتعالى بينهم فيه؛ وهو يوم القيامة، يوم العرض الأكبر.

أن رحمة الله تعالى واسعة، ومن لم تشمله فقد باء بالخيبة والخسران المبين، وحرم الجنة التي عرضها السموات والأرض.

أن الأمن من عذاب الله تعالى في الآخرة يتحقق لمن خاف الله عز وجل في دنياه , وترك حطامها الفاني، وأقبل على التزود من العمل الصالح الذي

يبقى بعد موته.

التذكير برحيل الناس من هذه الدنيا، ورجوعهم إلى الله تعالى الذي يرث الأرض ومن عليها.

التذكير بمشهد الموتى الذي يتكرر في الصباح والمساء، وانقضاء آجال الناس في هذه الحياة الدنيا.

بيان شدة حاجة الميت إذا أدخل في قبره إلى أعماله الصالحة، التي قدمها في دنياه؛ لأنها هي التي تبقى له، وما سوى ذلك من أعمال، أو أملاكٍ يكون في حالة غنى تامٍ عنها.

الاعتراف بالذنوب الكثيرة، وطلب مغفرتها من الله عز وجل.

أن لله تعالى كتاباً ينطق بالحق في القضاء المقدر على الخلق، وسنة عادلة منه تعالى تسير حياتهم وفقها.

وعناية الخطيب بهذه الأفكار، والتذكير بها؛ مما يعمق الإيمان بالله تعالى في النفوس، ويدفعها إلى الإقبال على طاعته عز وجل؛ للحصول على ثوابه، والوقاية من عذابه؛ لأن تلك الأفكار التي ركز عليها تَهُزُّ النفوس وتستثيرها، وتوقد فيها جذوة الإيمان بالله جل وعلا، والخوف منه.

وقد ربط الخطيب في ذلك بين الخلق والخالق، وبين الثواب والعقاب، وبين الخوف والرجاء، وبين الترهيب والترغيب، وبين الآخرة والدنيا، وبين الموت والحياة. وهذا المنهج الذي سلكه الخطيب يتفق مع منهج القرآن الكريم، ومنهج الرسول ρ في الدعوة والموعظة الحسنة.

ب – مصادر التأثر بالإسلام في المعاني والأفكار:

معظم المعاني والأفكار الواردة في الخطبة مستمدة من بعض الآيات القرآنية الكريمة، وبعض الأحاديث النبوية الشريفة، وبيان ذلك على النحو

الآتي:

أ – المعاني والأفكار المستمدة من بعض الآيات القرآنية:

استمد الخطيب قوله: ((أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثاً، ولم تتركوا سدى))؛ من قوله تبارك وتعالى[1]:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴾، ومن قوله عز وجل[2]:

﴿ أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدَى ﴾.

وكذلك قوله: ((وإن لكم معاداً يحكم الله بينكم فيه))؛ فهو متأثر فيه بقوله عز من قائل[3]: ﴿ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾.

وقوله تعالى[4]: ﴿ اللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾.

ومن المعاني التي اقتبسها الخطيب من القرآن الكريم قوله:

((فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء))؛ فهو مقتبس من قوله عز من قائل[5]: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾.

وقوله: ((وحرم الجنة التي عرضها السموات والأرض))؛ فهو مقتبس من قوله تبارك وتعالى [6]: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾.

---

(1) المؤمنون: 115.

(2) القيامة: 36.

(1) النساء: 141.

(2) الحج: 69.

(3) الأعراف: 156.

(4) آل عمران: 133.

وقد ورد هذا المعنى في كلام رسول الله ρ، حين حث أصحابه على قتال المشركين، وذكرهم بالجنة العريضة، التي سوف تكون جزاء لهم؛ فقال عليه الصلاة والسلام[1]: ((قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ)).

ومما تأثر الخطيب في معناه بالقرآن الكريم قوله: ((واعلموا أن الأمان غدا لمن خاف الله اليوم))؛ فهو متأثر فيه بقوله سبحانه وتعالى[2]:

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾،

وقوله عز من قائل [3]: ﴿ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

وكذلك قوله: ((حتى تُردُّوا إلى خير الوارثين))؛ فهو متأثر فيه بقوله الله جل وعلا[4]: ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الوَارِثِينَ ﴾.

وقوله تعالى[5]: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾.

وقوله: ((قد قضى نحبه، وبلغ أجله))؛ فهو متأثر فيه بقوله عز وجل [6]: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا ﴾، وقوله سبحانه وتعالى [7]: ﴿وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي

(5) صحيح مسلم: 159/4. كتاب: الإمارة. باب: ثبوت الجنة للشهيد.
(1) الأنعام: 82.
(2) الأنعام: 48.
(3) الأنبياء:89.
(4) مريم: 40.
(5) الأحزاب: 23.
(6) الأنعام: 128.

أَجَّلْتَ لَنَا ﴾.

ومما تأثر فيه الخطيب بالقرآن الكريم أيضاً: ((ثم تغيبونه في صدع من الأرض))؛ حيث تأثر فيه بقوله عز وجل[1]: ﴿ وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾.

وتأثر الخطيب في قوله: ((لكنه مضى من الله كتاب ناطق، وسنة عادلة))، بقوله تبارك وتعالى [2]: ﴿ وَلا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾.

ب – المعاني والأفكار المستمدة من بعض الأحاديث النبوية:

مما تأثر فيه الخطيب واستوحى معناه من الحديث النبوي الشريف قوله: ((ثم أنتم في كل يوم تشيعون غادياً و رائحاً إلى الله))، إلى قوله: ((غنياً عما ترك فقيراً إلى ما قدم))؛ فقد تأثر فيه، واستوحى معناه من قول الرسول ρ[3]:

((يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ)).

فهذا الحديث يدل على غنى الميت عن ما تركه وراءه، وحاجته القوية إلى ما قدم من عمل صالح في حياته. وهو المعنى الذي عبر عنه الخطيب في الجزء المشار إليه من خطبته.

2– أثر الإسلام في العاطفة:

العاطفة التي تظهر في هذا النص هي عاطفة الحرص على استقامة الرعية، والخوف عليها من عذاب الله عز وجل، وهي عاطفة دينية، بعثها من نفس عمر

---

(1) الطارق: 12.

(2) المؤمنون: 62.

(3) صحيح البخاري: 2388. كتاب: الرقاق. باب: سكرات الموت، وصحيح مسلم: 472/5. كتاب: الزهد والرقائق.

الإيمان العميق بالله تبارك وتعالى، وحب الخير للناس، والرغبة في الثواب عن طريق نصحهم، وإرشادهم لما فيه صلاح أمرهم.

ولذلك امتلأ النص بالمشاعر الإيمانية الصادقة؛ كمشاعر الإيمان بالله عز وجل، وباليوم الآخر، وما فيه من نعيم وعذاب، وبالقضاء والقدر، ومشاعر الخشية من الله تبارك وتعالى، والثقة القوية فيه، وفي رحمته الواسعة بعباده، والتضرع إليه لمغفرة الذنوب.

وقد سلك الخطيب سبيل الوعظ؛ لإثارة تلك المشاعر؛ ليحقق بذلك التأثير في النفوس، وإقناعها بما يعظ ويُذكِّر به، ويُمكِّنه فيها.

ومما يحرك المشاعر ويستثيرها في هذه الخطبة، التذكير بأن الناس لم يخلقوا لغير شيء، ولم يتركوا من غير تكليف، ثم التذكير بيوم القيامة، وحكم الله تعالى بين الناس فيه.

وكذلك التذكير بأن الأحياء من الناس إنما يعيشون في ما تركه من كان قبلهم من الأمم، وأنهم سوف يتركونه عما قريب، هم ومن بعدهم.

ثم التذكير أيضاً بالموت، الذي يفجأ الناس في الصباح والمساء، وبما يفعلونه بالموتى كل يوم، وبحالة الميت بعد إنزاله في قبره.

فكل هذه الأمور التي ذكرها الخطيب تستثير النفس، وتحرك فيها المشاعر، وتغرس فيها معنى العظة والاعتبار، وتبعث على التفكير العميق في الحياة والأحياء.



الخاتمة

يتجلى لنا بعد عرض أثر الإسلام في خطبة عمر بن عبد العزيز – رحمه الله تعالى – قوة ذلك الأثر؛ وذلك في موضوعها، وشكلها، ومضمونها؛ فموضوعها من الموضوعات الإسلامية، وهو النصح والإرشاد والتوجيه إلى الله عز وجل، وأفكارها ومعانيها مستمدة من الإسلام، وجملة من ألفاظها وتراكيبها إسلامية، وبعض صورها مستمدة من الإسلام.

والعاطفة التي بعثت تلك الخطبة عاطفة إسلامية؛ وهي عاطفة الحرص على الرعية، وحب الخير لها، والرغبة في الثواب من أجل وعظها وهدايتها.

وقد وُفِّق الخطيب غاية التوفيق في الاستمداد؛ من القرآن الكريم، ومن واقع الحياة اليومية، في سبيل الحث على تقوى الله تعالى وطاعته، والإقناع بالإقبال عليها؛ لأنها سبيل الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة.

كما وُفِّق في موعظته في الربط ((بين الناصح والمستمع؛ لأنه إذا تقاربت النفسان، كانت النصيحة أعمق أثراً، وكان المستمع أكثر استجابة))[1].

وذلك كله يدل على ما تشبعت به نفس عمر من أفكارٍ إسلامية، تشهد بعمق تأثره بالإسلام، وحفظه القرآن الكريم، واستيعابه لتوجيهاته، وحبه لشيوعها بين الناس؛ لتحقق لهم النجاة والفوز في الآخرة، والأمن من عذاب الله الأليم، يوم العرض العظيم.

والأديب الذي يسلك هذا المسلك، هو رائد أمته إلى الخير؛ لأنه يوجه النفوس إلى بارئها، ويغرس فيها المشاعر الإيمانية الصادقة. وأدبه – إذا

---

(1) القيم الخلقية في الخطابة العربية: 222.

تحققت فيه سمات الجمال الفني – هو أفضل أنواع الأدب؛ لأنه يربط الخلق بالخالق، والدنيا بالآخرة، فيتحقق به صلاح الأمة وفلاحها، وينال الثواب العظيم على إنشائه. بخلاف تلك الآداب التي صدرت من نفوس مريضة، وما أكثرها في هذا الزمان؛ فإنها – وإن تحققت فيها سمات الجمال الفني – تفتقد المضمون السامي، ولذلك فهي تهدم ولا تبني، وتضر ولا تنفع، ويقع منشؤوها في دائرة الإثم، بخروجهم عن منهج الإسلام؛ لأنهم يتطاولون على الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً، ويشككون في المعتقدات الإسلامية، ويشيعون المفاسد في مجتمعاتهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.



ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1. أخبار عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) وسيرته. تأليف: أبي بكر. محمد بن الحسين الآجريّ (360هـ). تحقيق: د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان. الطبعة الثانية، 1412 هـ-1992م.
2. أساس البلاغة. تأليف: جار الله. أبي القاسم. محمود بن عمر الزمخشري (467 – 538هـ). بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، 1404هـ – 1984م.
3. الأعلام. لخير الدين الزركلي. ت: 1395هـ. الطبعة السابعة. بيروت: دار العلم للملايين، 1986 م.
4. الأغاني. لأبي الفرج الأصفهاني. (356هـ). شرحه وكتب هوامشه: عبد علي مهنا. الطبعة الأولى. لبنان – بيروت: دار الكتب العلمية، 1407هـ – 1986م.
5. البيان والتبيين: لأبي عثمان. عمرو بن بحر الجاحظ. ت: 255 هـ. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون. الطبعة الأولى. دار الفكر.
6. تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري). لأبي جعفر. محمد بن جرير الطبري. ت: 310 هـ. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الطبعة الرابعة. القاهرة: دار المعارف.
7. ديوان أبي الحسن التهامي. ت: 416هـ. تحقيق: د. محمد بن عبد الرحمن الربيع. الطبعة الأولى. الرياض: مكتبة المعارف، 1402هـ-1982م.
8. الروض المعطار في خبر الأقطار. تأليف: محمد بن عبد المنعم الحميري. حققه: إحسان عباس. الطبعة الثانية. بيروت: مكتبة لبنان. مطابع هيد لبرغ – بيروت، 1984م.
9. سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه. تأليف: أبي محمد. عبد الله بن عبد الحكم. ت: 214 هـ. رواية ابنه. أبي عبد الله محمد. ت: 268 هـ. نسخها وصححها وعلق عليها: أحمد عبيد. القاهرة: مكتبة وهبة.
10. سيرة عمر بن عبد العزيز: تصنيف: الحافظ. جمال الدين. أبي الفرج. عبد الرحمن بن

الجوزي القرشي البغدادي ت: 597 ه. دون طبع. وتاريخ.

11. شرح نهج البلاغة. لابن أبي الحديد. ت: 656 ه. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الطبعة الأولى. بيروت: دار الجيل، 1407ه– 1987م.

12. صحيح البخاري. لأبي عبد الله. محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي. ت: 256ه. تحقيق: د. مصطفى ديب البغا. الطبعة الثالثة. دمشق، بيروت: دار ابن كثير، 1407ه– 1987 م.

13. صحيح مسلم. لأبي الحسين. مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. ت: 261ه. تحقيق: د.موسى شاهين لاشين، ود. أحمد عمر هاشم. الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، 1407ه–1987م.

14. العقد الفريد. لأبي عمر. أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ت 327ه. تحقيق: أحمد أمين وزملائه. لبنان – بيروت: دار الفكر العربي، 1402ه – 1982م.

15. علم البديع. د. عبد العزيز عتيق. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1405ه – 1985م.

16. عيون الأخبار. تأليف: أبي محمد. عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَةَ الدِّينَوَرِي. ت: 276 ه. طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية. لسنة، 1343ه – 1925م. لبنان – بيروت: دار الكتاب العربي.

17. فن الخطابة. د. أحمد محمد الحوفي. الطبعة الخامسة. القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.

18. فوات الوفيات والذيل عليها. تأليف: محمد بن شاكر الكتبي. ت 764 ه. تحقيق: د. إحسان عباس. بيروت: دار صادر، 1974م.

19. القاموس المحيط. لمجد الدين. محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ت 817ه. تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع، 1407ه –1987م.

20. القيم الخلقية في الخطابة العربية من الجاهلية حتى بداية القرن الثالث الهجري. د. سعيد حسين منصور. الطبعة الثانية. الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1399ه– 1979م.

21. لسان العرب. لابن منظور ت 711هـ. تحقيق: عبد الله علي الكبير وزملائه. مصر: دار المعارف.
22. المصباح المنير. لأحمد بن محمد بن علي الفيومي. ت 770 هـ. اعتنى به الأستاذ: يوسف الشيخ محمد. الطبعة الأولى. صيدا – بيروت: المكتبة العصرية، 1417هـ – 1996م.
23. معجم البلدان. لياقوت بن عبد الله الحموي. ت 626 هـ. بيروت: دار صادر.
24. معجم مقاييس اللغة. لأبي الحسين. أحمد بن فارس بن زكريا ت 395هـ. تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون. إيران قم، دار الكتب العلمية.
25. المعجم الوسيط. تأليف: إبراهيم مصطفى وزملائه. الطبعة الثانية. إخراج: إبراهيم أنيس وزملائه. دار الفكر.



فهرس الموضوعات

